القراءة والتأويل في المناهج النقدية الحديثة – المفاهيم والآليات–

شريفة بوكاف

كلية الآداب واللغات

جامعة العربي التبسي – تبسة– الجزائر

الملخص:

إنّ التأويل بعدّه نشاطا ذهنيا يرافق الإنسان في حياته، ومن خلاله يبحث فيما وراء المعنى(معنى المعنى)، وبغرض فهم النّصوص فهما دقيقا، كان لابد منه، فمن خلاله يتمّ الرّبط في العمليّة التواصليّة بين المنتج والقارئ والنّص، الذي تتعدّد الدّلالة فيه بتعدّد القراءات، وبانفتاح الدّلالة على العالم الخارجي يُؤدي ذلك لفهم النّص، بحيث عُدّ التأويل موضوعا للهرمينيوطيقا، الّتي عُنيت بتفسير النّصوص، كالكتاب المقدّس أو النّصوص الأدبيّة على اختلاف أجناسها، كما يتداخل مع علوم عدّة: كالفلسفة، الدّين، والأدب الذي ارتبط به ارتباطا وثيقا؛ فالأديب في إنتاجه لعمله الفنّي يُتيح للقارئ إمكانية تأويل نصّه لتحقيق الاستمراريّة والتّجدد.

وبظهور تيّار ما بعد البنيويّة انساقت الدّراسات الأدبيّة والنقديّة لاعتماد السّياقات الخارجيّة، وربطها بالنّص وإعادة الاعتبار لها، بعدما كانت البنيويّة تنادي بعزله عنها والاهتمام بالدّراسات المحايثة، حيث عدّ القارئ بمثابة مشاركا في العمليّة الإبداعيّة، فالنّص لامعنى ولا قيمة له إلاّ في إطار تأويله وقراءته، التي تختلف من قارئ لآخر انطلاقا من منظومة القيم والثّقافة، كلّ حسب وجهة نظره الخاصّة « **فكلّ قراءة هي إساءة قراءة أخرى**» وعلى هذا الأساس فالتّأويل محاولة هدم وإعادة بناء لنص جديد وفق الفهم والتّفسير، فالمُنتج للنّص يعمل على ترك فراغات يستشفّها القارئ انطلاقا من مدى استيعابه له، ما يساعد على الخلق الفنّي للعمل الأدبي.

الكلمات المفتاحية: القراءة، التأويل، آليات التأويل، المناهج النقدية الحديثة.

Summary

Interpretation as a mental activity that accompanies a person in his life, and through it he searches beyond the meaning (the meaning of meaning), and for the purpose of understanding the texts in an accurate understanding, it was necessary. The openness of the signification to the outside world leads to an understanding of the text, so that interpretation is considered a subject of hermeneutics, which is concerned with the interpretation of texts, such as the Bible or literary texts of all kinds. It also overlaps with several sciences: such as philosophy, religion, and literature with which it is closely related; The writer, in producing his artistic work, allows the reader to interpret his text in order to achieve continuity and renewal

With the emergence of the post-structuralist trend, literary and critical studies coordinated to adopt external contexts, link them to the text and reconsider them. It differs from one reader to another based on the system of values and culture, each according to his own point of view« each reading is another misreading» and on this basis, interpretation is an attempt to demolish and rebuild a new text according to understanding and interpretation. His comprehension of it, which helps in the artistic creation of the literary work.

Reading, interpretation, interpretation mechanisms, modern critical approaches **:Key words**

مقدمة

شَغَلَت الدّراسَات الحَدِيثة الّتِي اهْتَمَّت بِمَوْضُوعَات القِرَاءَة والتَّأوِيل حَيّزا مهمًا في السَّاحَة الأَدَبِيَّة والنّقْديَّة، فأيّ نَصّ لَا بُدّ لَه مِنْ قِرَاءَة، ولكُلّ عَمَل أدبيّ تَأوِيل، حيْث إنَّ اسْتِمْرَارِيّة النّصُوص وتَجدُّدها وتَبْيين جَيّدها، يتوقّف علَى القِرَاءة؛ الّتي تجْعَل النَّص يَنْفَتِح علَى العَالم الخَارِجي؛ لتتَعدّد دَلاَلاته وتَحْمِل مَعَاني تَخْتَلف باخْتِلاَف السّيَاق، وكلّ قَارِئ يَنْظُر إلَيه مِنْ زَاوية مَا، انْطلاقًا مِنْ مرجِعيَاته الثّقافِية والفِكْرية مَا يُؤدّي إلَى تَعدّد القِرَاءات للنّص الوَاحِد بِتَعدّد قُرائه، كمَا يُصْبح هُناك عِدّة مفاهيم للقِراءة وعِدّة طرق للتّأويل، ومِنْ خلال ذلك كلّه فَهُو يسْعَى للقَبْض علَى المَعْنى أوْ بالأحْرى (مَعْنى المَعْنى)، الّذي هُو في

الأصْل مَعْنى مُؤجّل أو مُرْجئ قَابل للتّأويل والقِرَاءة.

وبِظُهور نَظريَات القِرَاءة والتّلقي تَزايد الاهْتِمام بهَذا المَوضُوع، التي أوْلَت أهمّية كبيرة للقَارِئ بَعْدَما كَان الاهتمام مُنْصبّا علَى النَّص والمُنتِج؛ ليُعَاد الاعْتِبَار للمُتَلقي/القَارئ، لكونه مُشَاركًا فَاعلاً في العَمَليّة الإبْداعيّة. حيْث نَشَأت معَ ظُهور المَنَاهج النّقدية الحَدِيثة لاسيما البِنْيويّة الّتي أهْمَلت السّيَاقات الخَارجيّة، وذلك انَطلاقًا مِنْ دراسة النَّص بِمَعزل عمَّا هُو خارِجي، واهْتِماما باللُّغة لِذَاتها، فَجَاءت هذِه النّظَريات (التّلقي والقِرَاءة) لتسْلِيط الضّوء علَى القَارئ/ المُتَلقي وإعَادة الاعْتِبار لَه بَعْدما كَانَ التركيز في الدّائرة مُنصَبّا على ثُنائيّة مُكَوّنة مِنْ المُنْتِج والنَّص، أصْبحَ ثُلاثيّا يتضَمّن المُنْتِج والنَّص والقَارئ/المُتَلقي.

ومَعَ ظُهُور الدّرَاسَات الحَدِيثة أصْبَح لْلمُتلقّي دَوْر مَنُوط بِه، بِمُشَارَكَته للمُبْدع مِنْ مُنْطَلق تَفَاعِله وحِوَارِه مَعَ النّص بِقِرَاءة مُخْتَلِفة وجَدِيدَة وِفْقًا لانْفِتَاح النّص وَتَعدّد واخْتِلاف تَأْوِيلَاته، فَكَانْت جَمَالِية التلقّي بِمَثَابة الرَّاعِي الرّسْمي لِذَلك، كَوْنها مِن المَدَارِس الغَرْبِية الّتِي اهْتَمّت بِالقَارِئ مِنْ خِلَال فَرْض نَفْسِها فِي السّاحَة النّقدِية كَنَظَرِية مُتَكَامِلة سَوَاء علَى المُسْتَوى التّنْظِيري أوْ علَى المُسْتَوى العَمَلي.

هَذَا الاخْتِلَاف والتّعدّد لمَفَاهِيم القِرَاءَة والتّأوِيل فِي المَنَاهِج النّقدِية الحَدِيثة شَكّل لَدينا حَافزًا وجَعَلنا أكْثر اهْتِمَامًا بِالبَحْث فِي المَوْضُوع كَمَا بَثّ فِينَا الفُضُول، نظرا للأهمية الّتِي اكْتَسَبها فِي الدّرَاسَات الحَدَاثِية، الأمْر الّذِي دَفَع بِنَا إلَى اخْتِيَار هَذِه الوَرَقة البَحْثِية والمَعْنونة بـ (القِرَاءة والتّأْوِيل فِي المَنَاهِج النّقدِية الحَدِيثة –المَفَاهِيم والآلِيَات–) بِنَاء عَلَى عِدّة أسْبَاب ذَاتِية وأخْرى مَوْضُوعِية مِنْها:

ذاتية: تَمَثّلت فِي أنَّه طِيلَة مِشْوَارِنا الدّرَاسِي العِلْمِي تَعَلّمْنَا «أنَّ كلّ قِرَاءَة هِي إسَاءَة قِرَاءة أخْرَى »، ومَا أنْ سَنَحَت لَنَا الفُرصَة أرَدْنا الحَفْر في هَذَا المَوْضُوع، نَظَرا للفُضُول الّذِي سَحَبَنا ورَاء مُحَاولة البَحْث.

موضوعية: أنَّ القِرَاءة والتّأْوِيل مِن المُصْطَلحَات الحَدِيثة الّتِي تَحَوَّلَت مَعَها دَائِرة الاهْتِمَام مِن

المُبْدع والنَّص، إلَى القَارِئ /المُتلقّي الّذِي أعَادَت لَه جَمَالِية التلقّي الاعْتِبَار، لذَا كَانَ حَريّ بِنَا التّطَرُّق لهَا؛ لأنها حَظِيت باهْتِمَام كَبِير فِي السَّاحة النّقدِية مِنْ طَرف النّقاد المُعَاصِرين، ورَغْبتنا فِي تَكوْين رُؤية حَوْل هَذا المَوْضُوع.

وعلَى هَذا الأسَاس، تَرَسّخ لَدْينا انْطِلاقًا مِن الإشْكَالِية الأمّ عِدّة تسَاؤُلات مِنْها:

– مَا مَفْهُوم القِرَاءة ومَا مَفْهُوم التّأْوِيل أو الهِيرْمِينُوطِيقا؟

– كَيْف كَانَت القِرَاءَة والتّأْوِيل فِي المَنَاهِج النّقدِية الحَدِيثة؟

– ومَاهِي أهَمّ آلِيَات القِرَاءَة والتّأوِيل فِي ظِلّ هَذِه المَنَاهِج؟

ولِمُقَارَبة المَوْضُوع بِشَكْل مُمَنْهَج، ارْتَأَيْت تَقْسِيم الوَرَقة البَحْثِية إلَى عُنْصُرَين: الأوّل: القِرَاءة والتّأوِيل بَيْن المُصْطَلَح والمَفْهُوم، أمَّا العُنْصر الثَّانِي؛ آلِيَات القِرَاءة والتّأْوِيل.

وانْطِلاقا مِنْ هَذِه المُعْطيات فإنّه يَتَبَادر لَنا أنّ هذا البَحْث ونَظرا لمُحَاولتنا تتبّع خصَائص الظّاهرة بالتركيز على المَفَاهيم والآليات للقراءة والتّأويل في ظلّ المناهج النّقدية الحديثة يَسْتدعي المَنْهج الاسْتِقْصَائِي كطريقة إجرائية لتتبّع هذه المقاربة.

كَمَا لَا يَفُوتنا أنْ نُشير إلَى وُجود الدّراسَات السَّابِقة أوْ الأدبيات المُتَعلّقة بالمَوْضُوع الّتِي سَاعَدتنا فِي مَعْرفة أهَمّ النّقَاط الّتِي لَمْ يَتِم التّركيز عَليْها لنَأْخُذها نَحْن بِعيْن الاعْتِبار ونَذْكُر مِنْ بَيْنها لَا علَى سَبِيل الحَصْر وإنّما للمِثال وهِي كَالآتِي: لدينا مُؤلَّف (الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر)، لـ" عبد الله الغذامي" الصّادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ومُؤلّف (سيرورات التأويل من الهيرموسية إلى السيميائيات)، لـ "سعيد بنكراد" الصّادر عن الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، لبنان، 2012م، وأيضا مُؤلّف (في مناهج القراءة النقدية الحديثة) لـ" عبد

القادر علي باعيسى"، الصّادر عن مركز عبادي للدّراسات والنّشر، صنعاء، اليمن،2004م.

وفي خاتمة هذه الدراسة عرضنا لجملة النتائج التي توصلنا إليها.

1- القراءة والتّأويل بين المُصْطلح والمَفهُوم:

بِظُهُور المَنَاهِج النّقدِية الحَدِيثة وتَعَدُّدها كَالبِنْيويّة والتّفْكِيكيّة والسّيمْيَائِية وَنَظرِيَات القِرَاءَة والتلقّي ... أفْضَى ذَلِك إلَى تَعَدُّد وتَدَاخل المَفَاهِيم الحَدَاثِية مِنْ بَيْنِها القِرَاءة والتّأْوِيل والّتِي بَاتَت مُتَشَابِكَة ومُخْتَلِفة، نَظَرًا لاخْتِلَاف الرّؤى وَوِجْهَات النَّظر حَوْلَها وَفِي عَلَاقَتِها بِالنَّص الّذِي فِي حَدّ ذَاتِه اخْتَلَف النّقَاد والأدَبَاء فِي وَضْع تَعْرِيف لَه، فَحَاوَلْنا تَقْدِيم بَعْض التّعَارِيف للقِرَاءة والتّأْوِيل بِدَاية بالمَعَاجِم وُصُولاً إلَى النُّقاد والأدَبَاء.

1-1- القراءة: (Lecture)

يُعَدّ مَفْهُوم القِرَاءة مِنَ المَفَاهِيم الحَدِيثة نِسْبيًا، فَقَدْ ظَهَر مَعَ الدّرَاسَات والمَنَاهِج النّقدِية الحَدِيثة لاَسِيَمَا مِنْها: السّمْيُولوجيا، ونَظَريات التّلقي والقِرَاءة، الّتِي أعْطَت أهَمّية كَبِيرة لفِعْل القِرَاءة النّاتِج عَن القَارِئ، حيْث يُعَرّفها "سَعيد علّوش" بِقَوله:« تُعدّ القِرَاءة فَكّ الرّموز المَكْتوبة بِصَوْت عَال أوْ بِطَرِيقة صَامتة ويَفْترض هَذا النّشَاط فَهْما للنّص فِي الحين، كمَا تتطلّبه قدرة تأويلية خاصّة ربُما إبداعيّة تُشِير إلَيْها القِراءة الأدبية منذ عام (1970) لتعزّز ظهور القارئ منذ قرون »(علوش، 2019م، صفحة 372) بِمَعْنى أنَّها مُحَاوَلة فكّ شَفَرات لِرُموز مَكْتوبة سَوَاء أكَان ذَلِك بِصَوْت عَال أم صَامِت، انْطِلاقًا مِن فَهْم القَارِئ للنّص فَهْمًا عَميقًا لا سَطْحِيا، بالسّعْي للوُصُول إلَى البُنَى اللّغَوية العَمِيقة واسْتِشْفَاف خَبَايَاها والنّظر لَهَا مِنْ عِدّة جَوَانِب وزَوَايا، وبِالعَمَل علَى إيجَاد تَأْوِيل مُنَاسِب لَها.

ويَذْهَب "مُحمد عناني" فِي مُعْجم (المُصْطَلحات الأدَبِية الحَدِيثة) للحَدِيث عَن العَمَل بَيْن الكَاتِب

المُنْتِج للنّص والمُسْتَقْبِل لَه، بِاعْتِبَاره قَارِئًا لِهَذا العَمَل وعَلَيْه، عَرَض لِمَا قَالَه "بارت" مُتَحَدّيًا مَا هُو تَقْلِيدي فِي تَقْسِيم العَمَل بَيْنَهُما، حَيْث رَأَى بِأَنَّ النَّص هُوَ تَحَدٍّ لأنه يُجْبِر المُتلقّي للمُشَارَكة فِي العَمَلِية الإبْدَاعِية باعْتِبَارِه مُشَارِكًا فَاعِلًا فِيهَا لِيَتَحَوّل إلَى مُنْتِج ثَانٍ للنَّص، وَيَظْهَر ذَلِك مِنْ قَوْلِه:« فَإنّ "بارت" يُريد، أنْ يَتَحَدّى التّقسيم التّقليدي للعَمَل بين المُنتج والمُسْتهلك، أي بين الكاتب والقارئ. ونص الكتابة يُمثّل ذلك التحدّي لأنّه يُجبر القارئ على المُشاركة في عملية الكتابة. أي يُجبره على أنْ يُمارس الإبداع بالطريقة الّتي تقتصرها التّقاليد على وظيفة الكاتب. ومن ثمّ فهو يقول إنّ هدف العمل الأدبي (أو الأدب باعْتِباره عَمَلا) هو أنْ يُحوّل القارئ من مُستهلك إلى مُنتج للنّص» (عناني، 2003م، صفحة 84)، لِيَغْدو المُتلقّي بِمَثَابة كَاتِب لِنَصّ جَدِيد وِفْق النَّص الأصْلي، مِنْ خِلَال مُحَاوَلة مَلْءِ الفَرَاغَات الّتِي يَتْرُكها المُنْتِج الأوّل لَه، انْطِلَاقًا مِنْ المَرْجَعيَات الفِكْرية والثّقافية للقَارِئ، وقَدْ تَخْتَلِف نِسْبة إدْرَاك مَعْنى النَّص وفَهْم المَعَانِي الثّاوِية ورَاءَه باخْتِلَاف القُرّاء وتَعَدُّدِهم. فَهُنَاك عِدّة قِرَاءَات مِنْها: القِرَاءة السّطحِية، القِرَاءة العَمِيقة، ثمَّ القِرَاءة الفَاحِصَة النّاقِدة وهَذِه الأخِيرَة، هِي الّتِي يُمْكِن مِنْ خِلَالِها اسْتِكْنَاه مَكْنُونات النَّص والتّعَرّض لِجُزَيْئاته بِالفَحْص والتقَصّي الدّقِيق والتّأْوِيل للوُصُول للمَعَانِي والدّلالات الخَفيّة.

فَتُصْبِح القِرَاءة ذَلِك الفِعْل الّذِي يَصْدُر عَن القَارِئ/المُتلقّي للنَّص الإبْدَاعي، الّذِي تَوَارَت دَلالاته ومَعَانِيه والّتِي يُحَاوِل القَارِئ البَحْث عَنْها بَيْن سُطُورِه ومَا ورَاء النَّص، اعْتِمادًا علَى كُلّ مَا لَه صِلَة مِنْ قَرِيب أوْ مِنْ بَعِيد بِالنَّص، كَالسّيَاقَات الخَارِجِية لَه والمَرْجِعيّة الثّقافية، فَيَسْعَى لتَأْوِيله مِنْ هَذا المُنْطَلق، واسْتِنَادا لِمَا تُبْنَى عَلَيْه ذِهْنِية القَارِئ، وتَمَاشِيًا مَعَ مَا تمّ ذِكْره، فإنّه« فِي عَملية التّأويل قَدْ يتمّ اسْتِعمال السّياقات المُتعدّدة للنَّص بِهَدف إنتاج المعنى دائما وهذا في عمومه يشير إلى أهمية المرجعيّة في تحقيق الفهم، وتقف المرجعيّة كإمكانية تحقق القراءة من باب أن عملية استيعاب حيثيات النّص، لا تتم إلا وفق ما يحدّده القارئ من رؤى إزاء تلك الحيثيات، علمًا إن هذه الرؤى لا تتحقق إلا وفق ما تبنى عليه ذهنية

القارئ تلك المرجعية» (بوخالفة، 2010م، صفحة 35)، فَيَقُوم المُتلقّي بِتَحليل هَذا النَّص بِمُرَاعَاته فِي ذَلِك كُلّ مَا ذَكِر، اسْتِنَادا لرُؤَاه وتَصَوّرَاته حَوْل المَوْضُوع، وتَكُون قِرَاءَته لَه شَامِلَة لِكلّ هَذِه الأمُور، ولاَ يَحْدث ذَلِك إلاَّ فِي إطَار اسْتِيعَابه وفَهْمِه لِهَذا النَّص، ومَا يَنمُّ عَنْ إمْكَانِيَاته وقُدُرَاتِه للتمَكن مِنْ تَأْوِيله واسْتِشْفَاف كُنْهِه ومَعَانِيه.

وكَمَا يَرَى" عبد الله الغذامي" فِي إطَار حَدِيثه عَنْ مَصِير النَّص الّذِي تُحَدِّده القِرَاءة وكَيْفية اسْتِقْبَالنا لَه، إذْ يَقُول:« القراءة منذ أن وُجِدت هِي عَملية تقرير مصيري بالنسبة للنّص، ومصير النّص يتحدّد حسب استقبالنا له ... فالقراءة إذن تتضمّن تقرير مصير النّص الأدبي، ومثلما أنّها مهمّة كفعالية ثقافية فإنّ نوعيتها مهمة أيضا، ومادام أنّه ينبع عنها تقرير مصير النّص فإنّه من الضروري أن نعرف أيّ نوع من القراءة يستطيع تحقيق ذلك بقدر من الكفاءة يؤهّله للحكم الصّحيح» (الغذامي، 1998م، صفحة 77)، وبِالتّالي فلَا يَتحقّق وُجود النَّص إلاّ بِوُجُود فِعْل القِرَاءة النّابِع عَنْ قَارِئ، ولاَ نَقُول أي قَارِئ، وإنّما الّذِي لَه قدْر مِنْ المَعْرفة والكَفَاءة يُؤّهله للإدْرَاك والفَهْم الصَّحِيح. ومِنْ هُنا نَعْرف أنّ هُناك أنواع للقِرَاءة تَخْتلف بِاخْتِلَاف القُرّاء ومُسْتَوَياتهم الفِكْرية والثّقافية ولذَلِك يَعْرِض "عبد الله الغذامي" لثَلاثة أنْوَاع لَهَا، جَاء بِها" تُودُوروف "علَى النّحْوِ الآتِي (الغذامي، 1998م، صفحة 78):

1-القراءة الإسقاطية: هِي نَوع تَقْلِيدي لَا يَرْتَكز علَى النَّص، ولَكِنّها تَمُرّ مِنْ خِلَالِه ومِنْ فَوْقِه مُتّجِهَة نَحْو المُؤَلّف أو المُجْتَمع، تُعَامَل النَّص كَأنّه وَثِيقة لإثْبات قَضِيّة شَخْصِيّة أو اجْتِمَاعيّة أو تَارِيخِيّة، والقَارِئ فِيهَا يَلْعُب دَوْر المُدّعِي العَام الّذِي يُحَاول إثْبَات التّهمة.

2-قراءة الشرح: تَلْتَزِم بِالنّص تَأْخُذ مِنْه ظَاهر مَعْنَاه فقط، وتُعْطِي الظّاهر مِنْه حَصَانة يَرْتَفِع بِها فوْق الكَلِمَات. ولِذَا فإنّ شَرْح النَّص فِيهَا يَكُون بِوَضْع كَلِمات بِدَاية لِنَفْس المَعَانِي، أوْ يَكُون تَكْرِيرًا. سَادَجًا

يَجْتر نَفْس الكَلِمَات.

3-القراءة الشاعرية: وهِي قِرَاءَة النَّص مِنْ خِلَال شَفْراته بِناء علَى مُعْطَيات سِيَاقه الفنّي، والنَّص هُنَا خليّة حيّة تَتَحرّك مِنْ دَاخِلها مُندفِعة بِقوّة لَا ترد لِتَكْسر كلّ الحَوَاجِز بَيْن النُّصُوص، كمَا تَسْعى لِكَشف مَا هُو بَاطن، وتقرأ فِيه أبْعَد مَا هُو لَحْظة في الحَاضِر.

1-1- التأويل والهيرمينوطيقا(Hermèneutique)

تُعدّ الهِيرْمُينوطِيقا من المُصْطَلحات الزِئْبَقية الّتِي يَسْتَعْصي علَى البَاحِث تَحْدِيد تَعْرِيف مُوَحد ودقِيق لَهَا، وتَعدُّد مفهومها نَاتِج عَنْ اخْتِلَاف المَذَاهِب الفِكْريّة، فَكُلّ يَنْظُر لَهَا مِنْ زَاوِية مُعَيّنة، وفْق مَرْجِعيَاته الثّقافية وحتَّى الفلسفيّة، وهُو مَا عُرِف فِي السّاحة النّقدِية بِأزْمة المُصْطَلح.

حيْث يردّ "جون سكوت" هَذا المُصْطَلح وبِدَايته إلَى مَا جَاءَ بِه كُلّ مِنّ "شلاير ماخر" و" ديلتاي" فَيقُول فِي هَذا الخِضَم« ترجع فلسفة الهيرمينوطيقا إلى أفكار "إرنست شليرماخر" و"فلهلم دلثي" اللذين ضمنا مبادئ وممارسات تفسير التوراة لتشمل كل المنتجات الثقافية الأخرى. وكانت الفكرة الرئيسة هي أنّ معنى شيء لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال عملية تفسير يوضع خلالها في سياق الرؤية العالمية التي انبثق منها.» (سكوت، 2009م، صفحة 421) مَا يَعْنِي أنَّهَا اسْتُعْمِلت فِي بِدَاية الأمْر لِشَرْح وتَفْسِير الكُتب المُقدّسة كَالتّوراة والانْجِيل، لِتَشْمل بَعْد ذَلِك المَجَالَات الأخْرى وعَليْه، لَا يُمْكِن مَعْرِفة مَعْنَى وَدَلَالة شَيْء مَا، دُون تَفْسِيره انْطِلاقًا مِنْ رَبْطِه بِالسّياق الّذِي جَاء فِيه، «فكلمة Hermeneutics (هيرمينوطيقا) هي التعبير الإنجليزي للكلمة اليونانية الكلاسيكية Hermeneus (هرمس)، وتعني المفسّر أو الشارح» (جاسير، مقدمة في الهيرمينوطيقا، 2007م، صفحة 21)، أيْ أنَّهَا كَانَت تَدُلّ علَى الشّرْح والتّفْسِير وَتِبْيَان وإظْهَار مَعْنَى الشّيء، وهِي كَمُصْطَلح غَرْبي المَنْبَت، تُطْلَق علَى كُلّ مَالَه عَلَاقة بِالفَهم والتّفْسِير والتّأوِيل.

و"هُرْمُس" هُو الإله الإغْرِيقي الّذِي كَان يَنْقل الرّسَائِل بَيْن الآلِهَة. ولِهَذا فَقَدْ كَانَ فِي المَرْحلة الّتِي سبقت مجيء "شلاير ماخر" يُعْزَى التّفْسِير والفَهْم إلَى اللّاهُوت (بمَعْنى تَفْسِير الكُتب اليُونَانية المُقدّسَة) لِيَنْتَقل مَعَ "شلاير ماخر" إلَى دَائِرة أوْسَع مِنْ ذَلِك، لِيَشْمُل عَمَلِيَات الفَهْم المُتَعَلّقة بِتَحْلِيل النُّصُوص وتَأْوِيلَها. فَقَدْ «عدّ أول من انتقل بالتأويل من مجاله اللاهوتي إلى مجاله الفلسفي» (الفريوي، 2008م، صفحة 56،55)، والمَقْصُود أنَّه كَانَ تَفْسِير النّصوص مَا قَبْل "شلاير ماخر" يَرْتَبط بالتّفْسِير والتّأْوِيل اللّاهُوتِي للنّص الدّيني كالتّوْرَاة.

وبِمَا لَا يَدَع مَجَالًا للشّك «أنّ أصُول الاصْطِلَاح تَعُود إلَى مُمَارسة قدِيمة فِي تفْسِير الكُتب المقدّسة، ويتَأصّل مَعَ "شلاير ماخر" (1769–1837) الّذِي يَرَى أنّ مَعْنَى النّص لَا يُهمّ إلَّا جُمْهُور القُرّاء الأصْليين. وأنَّ التّفْسِير عَملية دَوْرية تَعْتَمد علَى مُجْمل النّص وأنّ سُوء الفَهْم شَرْط سَابِق لِفَهْم النّص بِخِلَاف حركة التّنْوير العَقليّة المُؤكّدة لِوُضُوح الفَهْم. أمَّا "ديلتاي"(1833–1911) فيُركّز علَى الفَرق بَيْن الفَهْم والشّرْح. في حين يُشكّك "هايدغر" في دَوْر الذّات فِي تفْسِير النّص وتَكْوِين المَعْنَى ويَرْبِط "غادامير" (1900) بَيْن الاصْطِلَاح والتّأْوِيل الفَلْسَفي والحِيَازة المُسْبقة والبَصِيرة والتّصْوِير والتّحيز. لِهَذا لَا تَعْتَمد مَعَانِي النُّصُوص علَى مَفْهُومها الأصْلِي أوْ المَقْصُود، بَلْ على اللّغة والمَعَايير والتّقَاليد المُزْدَوجة بِوجهة النّظر المُرْتَبطة بالعَلَاقة غير المَحْدُودة والمَفْتُوحة. (علوش، 2019م، صفحة 330) ولِذَلك عُنِيَت الهِيرْمِينُوطِيقا بتَفْسِير النّصُوص الدّينية اليُونَانية وتَأْوِيلها ومُحَاوَلة تَقْرِيب المَعْنَى إلَى فَهْم القَارِئ، والتّعَمُق فِيهَا بِالبَحْث لِتَشْرِيح الجزيئات وتَأْوِيل دَلالاتها وإخْرَاج المَعَانِي الكُلّيّة الشّامِلة، وهُو مَا سَعَى إلِيه "شلاير ماخر".

لِذَلك يَجِب الأخْذ بِالحُسْبان، أنّ مُصْطَلح الهِيرْمِينُوطِيقا «هو باخْتِصار نَظرية التّأويل ومُمارسته، ولذلك لَا حُدود تؤطّر مَجال هَذا المُصْطلح سِوى البحث عن المعنى والحاجة إلى توضيحه وتفسيره. كما

لا تقتصر مُمارسة الهِيرْمِنُيوطِيقا على التّأوِيل الأدبي ولا توجد مدرسة هيرمنوطيقية معينة ولا يوجد من يمكن أن يطلق عليه صفة الهيرمينوطيقية، ولاهي كذلك منهج تأويلي له صفاته وقواعده الخاصة أو نظرية منظمة.» (الرويلي ميجان، 2002م، صفحة 88) وبالتّالي، فَهِي لَا تَخْتَصّ بِالأَدَب فَحَسْب، إنَّمَا هِي تتعدّاه للْعَدِيد مِن المَجالَات الأخرى كالدّينية والفلسفيّة وغَيْرها، كَمَا أنَّهَا ليْسَت مَدْرَسة أوْ مَنْهَجا مُتَكامِلا قائما بِذَاته.

ويَعْرِض "جميل صليبا" في (المعجم الفلسفي) في إطَار الحَدِيث عَن مَفْهُوم التّأوِيل لِمَا قَالَ بْه "ليبنيز" الّذِي اتّخَذ مَعَه هَذا المَفْهُوم مُرَادفا وهُو الاسْتِقْراء، إذْ يَقُول: «التأويل عند "ليبنيز" مرادف للاستقراء، وهو البحث عن علل الأشياء للارتقاء منها إلى العلة الأولى، وهي الله. وما يسميه الفيلسوف استقراء يسميه اللاهوتي تأويلا. والغرض من الطريقتين معرفة بواطن الأشياء» (صليبا، 1982م، صفحة 234) ومَا يُمْكِن قَوْلَه أنّ التّأْوِيل هُو مُحَاولة البَحْث عَن مَعَانِي الأَشْيَاء والوُجود والكَون، وهُو إذا مَا تَعَلّق بِالفَلَاسِفة فَهُم يُطْلِقون عَلَيْه الاسْتِقراء، أمّا اللّاهُوتيين فَيُسمّونه تَأوِيلا، وهَذا إنْ دَلّ عَلى شَيءٍ، إنّمَا يَدُلّ علَى اخْتِلَاف المَفَاهِيم لِهَذا المُصْطَلح باخْتِلَاف المَذَاهِب الفِكْرية وتَوجُّهات النّقاد ومَرْجِعيَاتهم الفلسفيّة والابسْتِمُولوجيّة.

وجَدِير بالذّكر الإشَارة إلَى التّعْرِيف الّذِي قدَّمه "عبد الغني بارة" فَيقُول: « فالتأويل هو القراءة الممكنة للنّص، كون هذا الأخير ليس مغلقا على ذاته، كما هو في المفهوم البنيوي، بل مفتوح على القارئ، يدخله من أية زاوية يشاء، فينتج نصا جديدا فوق النّص الأول، وكأن النّص يتجدّد بوساطة هذا النوع من القراءة مع كل قارئ.» (بارة، 2005م، صفحة 341) والمَقْصُود أنّ النّص هُنَا يَخْتَلف عَن النّص فِي المَفْهُوم البِنْيوي؛ الّذِي كَانَ يدْعُو لِعَزْل النّص علَى السّيَاق وجَعْلِه مُغلقا علَى ذَاتِه، بَلْ تَركه

يَنْفَتِح علَى الدّلَالات الّتِي يُنْتِجها القَارِئ مِنْ خِلَال قِرَاءَاته لِهَذا النّص مِنْ عِدّة زَوايا انْطِلاقًا مِنْ ثَقافَته ومَدى تَمَكُّنه مِن الوُلوج إلَى عَالَمِه ومُحَاولة تَفْكيك رُمُوزه ومَعانيه وتَأْوِيلها.

ومِنْ جَانِب آخِر يَرْبط "سعيد علّوش" التّأويل بالسّيمْيَائية ويُعرّفه انْطلاقًا مِنْها، ويَرَى أنّ لَه مَعْنيين حَيْث يَقُول «يستعمل مفهوم التأويل في السيميائية بمعنيين مختلفين يرتبطان بفرضية الأساس الذي يحيل عليه ضمنيا أو مباشرة، أي الشكل والمضمون. فالتأويل السيميائي يعيد إنتاج التمفصلات ويمكن أن يقدّم تحت نفس قواعد الشكل والمؤول وهنا يمكن التحديد الممكن للغات الشكلية من الوجهة السيميائية، كما يعتمد على تفسير النّص وبحث معناه وتخريج قواعده وترجمتها إلى لغة ثانية وثالثة.» (علوش، 2019م، صفحة 366) وعلَيْه فَقدْ اسْتَخدم التّأوِيل فِي السّيمْيائية باعْتِبَارها مَنْهجا يَبْحث في العَلَامات اللّغوية، واسْتِشْفَاف مَعَانِي النُّصُوص اعْتِمَادًا علَى ذَلِك، وفَك شَفراتها ورُموزها، والقِرَاءة مِنْ هَذِه النّاحِية تَبْقَى لَا نِهَائِية للنّص لأنَّه يُمْكن قِرَاءته مِنْ عِدَّة جَوَانب أخْرى، وحتَّى مِنْ هَذه النّاحِية فإنّه تَخْتلف القِرَاءة مِنْ قَارِئ لآخر، مَا يُؤدّي للتّعدّدية فِي القِرَاءَات والتّأوِيلَات، لَكِنّ ذَلِك لَا يَلْغِي القِرَاءة الأولَى ولَا يُقْصِيها، فكُلّ قِرَاءة هِي إسَاءة قِرَاءة أخْرى.

فالتّأوِيل مُحَاولة فِي البَحْث عَن المَعَانِي والحَفْر فْي بُنية النَّص للوُصُول إلَى مَقَاصِد المُؤلّف ومَا يَرْنُو إليه مِنْ ورَاء نَصّه، والتّمَكن مِنْ فَهْمه والقُدرة علَى شَرْحه وتَفْسِيره وإدْرَاك مَعْنَاه، وَكَشْف مَا خَفِي مِنْه، أيْ أنَّه« في أدقّ مَعانِيه هو تحْديد المَعَاني اللّغوية في العمل الأدبي من خلَال التّحليل وإعادة صياغة المفردات والتركيب ومن خلال التّعليق على النّص. مثل هذا التّأويل يركز عادة على مقطوعات غامضة أو مجازية يتعذر فهمها. أمّا في أوْسع معانيه فهو توضيح مرامي العمل الفنّي ككل ومقاصده باستخدام وسيلة اللغة. وبهذا المفهوم ينطوي على (شرح) خصائص العمل وسماته مثل النوع الأدبي الذي ينتمي إليه، وعناصره وبنيته وغرضه وتأثيراته.» (الرويلي ميجان، 2002م، صفحة 88) بِمَعْنَى

البَحْث فِي المَعَانِي الّتِي يُمْكن للنّص أنْ يُحيل إليهَا، نَظَرًا لأنَّ كُلّ عَمل أدَبِي حَامِل لدَلالات إيحَائِية يُحَاول مُنْتجه إخْفَاءَها مَا ورَاء اللّغة والشّفرات والرّموز؛ ليَترُك للقَارِئ مَجَالًا لِفَكّها مِنْ خِلَال قِرَاءتها وتَأْوِيل مَعَانِيها بَعْد فَهْمها فَهْما دَقيقا.

2- آليات القراءة والتأويل:

عَمَدَت المَنَاهِج النّقدِية الحَدِيثة، لَاسِيَمَا مِنْها مَا بَعْد البِنْيوية إلَى تَحْليل النُّصُوص وقِرَاءتها وتَأْوِيلَها، ومُحَاولة اسْتِقْرَائها انْطِلَاقًا مِنْ اعْتِمَاد وَسَائل إجْرَائية عَلمية رَصِينة، للوُصُول إلَى نَتَائِج مَلمُوسة؛ وإنْ كَانَت نِسْبِية، تَبْقَى مُحَاولَات لاسْتِكْنَاه مَكْنُونَات النّصُوص، والعَمَل علَى فَهْمَها وتَفْسِير قَضَايَاها، باسْتِخْرَاج الدّلَالات الكَامِنَة ورَاءَها بِوَاسِطة اللّغة، وبذلك فَإنّ المُؤوّل يَغُوص إلَى المَعْنَى العَمِيق لَه، علَى اعْتِبَار أنّ« القارئ يقيم نوعا من الحوارية مع العمل (النّص) فيشترك تبعا لذلك مع المؤلف في "صنع" هذا العمل. وليست وفرة التأويلات التي يقوم بها القارئ المتلقي في النهاية سوى لانهائية من القراءات الممكنة التي يتضمّنها العمل في حد ذاته» (القمري، 1991م، صفحة 15)، وَتَبْقى الدّلالات مَنْفَتحة علَى الخَارج، وباسْتِطَاعة أيّ قَارِئ آخَر تَأْوِيله مِنْ عِدّة نَوَاحٍ واسْتِظْهَار جَوَانب أخْرى بِالدّرَاسة والتّحْليل، وباخْتِلَاف القُرّاء تَخْتَلف وِجْهَات النّظر.

فَتَأْوِيل النُّصُوص الإبْدَاعِيّة وفَهْمَها، يَتطلّب وُجود مُسْتَقبلين ذُوي كَفَاءَة عَالية ومُسْتوى ثَقَافِي يسْمَح لَهُم بالوُلوج إلَى دَوَاخل النّص، وفَك رُموزه اللّغوية وتَفْسِيرها وتَحْلِيلها لِيُسَاهِموا فِي إنْتَاج ولَوْ جُزء مِنْ مَعْنَاه،« فظهور القارئ المثقف أو القارئ المتخصص أحيانا، بما يملك من أدوات الفهم والتفسير والتحليل الكثيرة ونظم التأويل المعقدة، خطا بعملية القراءة خطوات واسعة من الفهم والبحث عن المعنى الذي يتضمنه النّص، إلى التأويل والإسهام في إنتاج جزء من معنى النّص، وهذا يعني أن الاعتقاد بموضوعية النّص، بدأ يخلي جزءا من مكانه لإمكانية وجود نسخة من كل نص تخص قارئا معين؛ وفي التأويل لا

يكشف القارئ إمكانات النص فقط، بل إمكاناته أيضا.» (تومبكنر، 1999م، صفحة 10) والمَقْصُود أنّ القَارِئ المُتَخَصِّص أوْ العَارف، هُو الّذِي يَسْتطيع التّحَكم فِي النّص واسْتِنْفاذ مَدْلُولاته، ومُحَاولة الاقْتِراب مِن التّفْسِير والفَهْم المَنَاسِب حَسب مَا يَقْتَضِيه السّيَاق، واكْتِشَاف تَلَاعب المُنْتج باللّغة والدّلَالات الكَامِنة ورَاءَها، وسَعْيِه لمُجَارَاة أسْلُوبه وإزَالة الغُمُوض عَن مَعَانِيه وألْفَاظه، بِوَضْعها تَحْت مجْهر القِرَاءة والتّأْوِيل.

وعَلَى هَذَا الأسَاس، يُمْكن القَول إنَه يُوجد عِدَّة أنْواع للقَارِئ، كُلّ نوْع حَسب دَوْره ورُؤية صَاحبه« فالقارئ الحقيقي (الشخص الذي يملك كتابا بيديه) والقارئ الفعلي Virtual (وهو نوع من القراء يعتقد المؤلف بأنه يكتب له، قارئ يمنحه المؤلف وسائل وقابليات وميولا معينة) والقارئ المثالي Ideal (وهو الشخص الذي يفهم النّص فهما تاما ويتذّوق كل دقائقه) » (تومبكنر، 1999م، صفحة 21)، إذْ إنَّ مَعْنَى النّص لَا قِيمَة لَه إلاَّ بِوُجود القُرّاء، ولَا نَقُول أيّ قرّاء إنّما أصْحَاب الخِبرة وذوي القُدرة والمَعْرفة، والّذِين تَسْتَمد مِنْهم النُّصُوص مَعَانِيها المُتجدّدة، واسْتِمْرَارِيتها تتوقّف علَى ذَلِك الأمر، والنّص أصبح بمثابة بحر عميق، ومن يرغب في اكتشاف أغواره وخباياه، عليه أن يتحمّل عَناء المُغَامَرة ورِحْلة البَحْث عَن المَعَانِي الثّاوِية ورَاءَه ، والّتِي تَبْقَى قَابِلة للتّأجيل.

وفِي هَذا الصَّدد، يَقُول "صلاح فضل" فِي حَدِيثه عَن أهَمّية القَارِئ فِي حَيَاة النَّص ، فهو يُمثّل الحَياة بِالنّسْبة لَه، كَمَا أنَّه لَا يَدْخل نِطَاق البَحْث، إذْ يَقُول:« فالنّص المبدئي الذي لم تمسسه يد القارئ لا يدخل مجال البحث، فنحن لا نلتقي إلا بالنّص المؤول الذي باشره الباحث بالقراءة.» (فضل ، 1996م، صفحة 147) مَا يَعْنِي أنّ قِرَاءة العَمَل الأدَبِي؛ هِي إخْرَاج لَه مِنْ دَائِرة الثّبَات والجُمود، إلَى دَائِرة التّجدّد والدّينَامِية، مَا يَجْعله عَملا خَالدا ولَا يَمُوت، فَمَعْنَى النَّص وَتَأْوِيل دَلَالته يَتوقّف علَى القَارِئ.

وفَضْلًا علَى ذَلِك، فَإنَّ التّأْوِيل كَعَمَليّة ذِهنيّة يَقُوم مَفْهُومه عَلَى فِعْل القِرَاءة، الّذِي« بدأ بعض

النّقاد ينظرون إليه– فعل القراءة – بوصفه منشئا للمعنى بعد أن كان مجرد بحث عن المعنى، وقد يتضمن ذلك أكثر من مجرد إقرار المؤلفين والكتاب بأهمية القارئ بأن يحملوه مع المؤلف مسؤولية مشتركة.» (تومبكنر، 1999م، صفحة 10) وتَأسِيسًا لِذَلك، فَإنَّ هَذا الفِعل أصْبَح القَارِئ بِفَضْله مُنْتِجا للمَعْنى؛ بَعْد أنْ كَان مُجرّد بَاحِث عَنْه، وعَمليّة التّأوِيل النّاتِجة عَنْ المُتلقّي تُمكّننا مِن الاضْطِلَاع بالفَيْض الدّلَالي الكَامِن فِي ثَنايَا النَّص، المُحَمَّل بشُحَنات قَصْدِيّة وغَائيّة، يَرْنُو مِنْ خِلَالِها الكَاتِب لِبَثّ رَسَائل مُعيّنة للمُتلقّي، هَذا الأخِير الّذِي يَسْعَى إلَى تَأوِيلها بِفَكّ شَفَرَاتها للوُصُول إلَى مَعْنَاها المَسْكُوت عَنْه والخَفيّ فِي النّص.

إضَافَة إلَى وُجود عَدِيد مِن أنْوَاع القِرَاءة والمَفَاهِيم المُخْتلفة لِكُلّ مِن التّأوِيل والقِرَاءة والتّدرج فِي بَعْض أنْوَاع المُتلقّي/ القَارِئ، وكلّ ذَلِك يَدْخل ضِمْن مَا يُسمَّى باسْتِرَاتِيجية القِرَاءة، وهُنَاك أيضا عِدّة آلِيَات تقوم علَيْها عَمليّة القِراءة، وهِي علَى النّحْو الآتي:

1–التّحْليل: فالبِنْيوية في مَنْحاها المتميّز نظام تحليلي، يعتمد على الدّلالات، والرّموز، والإشارات في دراسة النّص، ويقوم هذا النّظام لدى روّادها على قاعدة علميّة يستعين بها القارئ في التّعامل مع النّص... وهناك قراءة بنيويّة لنّص من النّصوص فهو– باختصار– نظام استقبال. كما لا يقف أصحابها في إدراك العلاقات عند مهمة التّفسير التّقليدي المألوف، بل يعمدون لإيجاد نظام علمي، يُعوّل عليه المتلقّي القارئ في التّفاعل مع النّص. (عبد الواحد، 1996م، صفحة 69،68) إذَنْ فقِراءة أيّ نصّ مِن النُّصوص، يسْتَلزِم تَحْليله وتَشْريح جزيئاته للوُصُول إلَى البُنَى اللّغوية العَميقة، فالمَنَاهِج مَا بَعْد البِنْيوية عَمَدت لإيجَاد آلِيَات تَأوِيلية، لأجْل الظّفر بِمَعَانِي النُّصوص، الّتِي تَبْقَى مُؤجّلة، ودَائمة التّجدّد.

2–السّيمْيَائِية: "فالإمساك بالمعنى" والتّعبير "لكريماص"، ليس شيئا آخر سوى إسقاط الوعي موجه إلى ما يمثل أمامه من خلال سلسلة من العلاقات التي تقود في نهاية الأمر إلى تحديد كم معنوي

هو حاصل هذا الإسقاط. وهذا الإسقاط هو الذي يبرر الحديث عن المضمون من خلال شكله لا من خلال جوهره. وهو ما يحدّد غاية التحليل ومنتهاه. وبعبارة أخرى، إن ما يوضع للتداول ليس مادة مضمونية غير قابلة للتحديد بل سلسلة من السّياقات الّتي يمكن الإمساك بها من خلال حالات التشخيص المتتالية. (بنكراد، 2012م، صفحة 201) ومُحَاولة التّطَرّق إلَى الدّلالات والمَعَانِي عَن طَرِيق التّسنين، ودراسة العلامات والإشارات، الّتي يُشِير إليْها النَّص والبَحْث عَن الدّلَالاَت الخَفِيّة.

3-التّفْكيك: وإذا كان التأّويل قد هضم كشُوفات المنْهجيات الحدِيثة السّابقة له، فإنّه قد تجاوز معياريتها وصولا إلى التّأويل فعمله الإعلاء من شأن التعدّد والاختلاف في المعاني، هذا يمنح الخطابات قوّة خاصة لأنّه يحرّرها من الاقتران بغرض معين، فتصبح اللغة مدارا لآفاق ذات دلالات كثيرة، وينفتح القارئ على رغبة اللغة ويبدأ بالبحث عمّا هو مغيّب فيها. وبدون عشق حقيقي للنّص لا يمكن أن تتوفر أرضية مناسبة للقراءة، لابد إذا من وجود رغبة ومشاركة بين القارئ والنّص وهذه هي اللذة الحقيقية الّتي أراد التفكيك تحقيقها في اقتراحه قراءة متعدّدة الأوجه للخطابات البشرية. (إبراهيم ، 1996م، صفحة 143)

وعَلَى هَذَا الأسَاس، فإنَّه كَان لنَظَرِيات القِرَاءة والتلقّي دَوْر بَارِز فَي الدّراسَات الّتِي نَظَرت للقَارِئ عَلَى أنَّه مِحْور هَام ورَكِيزة أسَاسِيّة فِي العَمَلية الإبْدَاعِية، فَقد« ابتدعت جمالية التلقي مفهوم "أفق التوقع" ويتكون عند جمهور ما من القراء من خبرته السابقة بالجنس الذي ينتمي إليه العمل الأدبي، ومن تراتبية القيم الأدبية لعصر ما ... كما يفسر هذا المفهوم أيضا آليات تلقي هذه الأعمال والتطور الأدبي.» (موريل، النقد الأدبي المعاصر مناهج، اتجاهات، قضايا، 2008م، صفحة 131) بِمَعْنى أنَّ افُق التّوقعات يَلْعب دَوْر مُهمّ فِي نَظَرِية التلقّي، وإذَا كَان نَاتِج عَن خَبَرات سَابِقة، فإنَّ القَارِئ يَعْمَل علَى مَلْء الفَراغَات الّتِي يَتْرُكها الكَاتِب تَأوِيلَا وقِرَاءة لدّلالات العميقة الغائبة.

ضِفْ إلَى ذَلِك، فَإنَّ المَنَاهِج الحَدِيثة قدْ خَطَت مَعَ نَظَرِيات القِرَاءة والتلقّي خُطْوة مُهِمّة انْتَقَلَت مَعَها قِرَاءَة النّص وتَأوِيله، مِنْ اعْتِمَاد أسَالِيب تقليديّة سَائِدة إلَى تَحوّل جِذْري جَعَل مِن القَارِئ مُحرّك رَئِيسي فِي عَمَليّة القِرَاءة، مَا يَرْجع لتَفَاعِله مَعَ البِنْيات النّصية، كَما أنّه يَسْتلزم أثْنَاء عَملية فَهْمه للنّص اسْتِحْضَار مَعْرِفته السَّابِقة وخَبراته وثَقافته فِي المَوْضُوع، لِمَلْء فرَاغَات النّص، مُحَاولا اكْتِشَاف قَصْدِية الكَاتب والنّص المُؤوّل، ودَوْر القَارِئ يَتَمثّل فِي تَقْدِيم مَا يُمْكن أنْ يُخَالِف السّائِد، انْطِلَاقًا مِنْ خَلْق أدَوَات ووَسَائل إجْرَائية، لتَوْظِيفَها فِي عَملية تَحْليل وتَأوِيل النّص الّذِي هُو بَيْن يَدَيه، وهَذِه الإجْرَاءَات تَتَمثّل فِيمَا جَاءَ بِه "ياوس" فِي حَدِيثه عَن أفُق الانْتِظَار و"أيزر" في القَارِئ الضّمني.

واسْتِنَادا إلَى مَا تمَّ ذِكْره، فإنَّ مِنْ أهَمّ مَرْجعيات "ياوس" فِي بِناء المَعْنى مِنْ خِلَال طَرْحه "أفق الانتظار" فمَعْنى العَمَل الأدَبِي عِنْده هُو أفُق الانْتِظَار نَفْسه، فقِرَاءة (فهم) عمَل أدَبِي ما تنطوي باستمرار على توقعات متعدّدة، لأن العمل الأدبي يَسْعَى باسْتِمرار إلَى أنْ يُخالف المَعَايير الّتِي نَحْمِلها عَن مَوْضُوع مَا، وعملية الاخْتِلَاف هَذه لأنها تتمّ مِنْ خِلال الذّات المتلقّية فإنّها تُنْتج مَعْنى جماليًا، إنَّ العَمل لَا يَفي باسْتمرار بما ننتظره أو نتوقعه منه، لأن الزمن والظروف تغير معاييرنا، وأدوات فهمنا وطرائقه ، والعمل الأدبي أيضا، وعملية الفهم بالنسبة "ياوس" هي تدوين فعل افق الانتظار الذي نعانيه في كل عملية فهم (خضر، 1997م، صفحة 102)، فَكُلّ عَمَل إبْدَاعِي لَابُد لَه مِنْ تَوقّعات تَخْتلف مِنْ قَارِئ لآخر، وغَالِبًا مَا يَكُون هَذا العَمَل مُخَالِفا لِلْمَقَاييس الّتِي نَحْمِلها عَن مَوْضُوع مَا، والاخْتِلَاف النّابع عَن المُتلقّي/القَارِئ يُولّد مَعْنى جَمَاليًا، لكنّ الوَقْت والظّرُوف تُغيّر هَذِه المَقَاييس وطُرق فَهْمنا والابْدَاع الأدَبِي.

إنَّ الإبْدَاع الأدَبِي يَجْمع بَيْن النّص ومَا يُضْفِيه القَارِئ مِنْ مُتخيّل عَلَيْه، بِمَعْنَى أنّه يَجْمع بَيْن مَا هُو فنّي؛ والمُتمثّل فِي النّص الّذِي أبْدَعه صَاحِبه، وبَيْن مَا هُو جَمَالي؛ ويَتمثّل فِيمَا يُجَسّده القَارِئ وهُو ما ذَهَب إلَيْه "آيزر" حِينَما رَأى أنّ «النّص الأدبي يقوم على قطبين. قطب فني، وهو النّص الذي أبدعه

المؤلف، وقطب جمالي وهو عملية تجسيد القارئ وتحقيقه للنّص، وهو الأمر الذي يجعل علاقة القارئ بالنّص الأدبي علاقة إبداع لا علاقة اتباع فمهمة النّاقد –حسبه– هي فهم النّص لا بوصفه أثرا على القارئ ولذلك هو يقترح القارئ (الضمني) أو المضمر الذي يتوجه النص بخطابه إليه، ويحقق له رغباته وميوله، والقارئ الضمني مختلف بذلك عن جمهور القراء الفعليين أو العاديين» (باعيسي، 2004م، صفحة 92،91)، وبالتّالي فَالقَارِئ بِتَأْوِيله للعَمَل الأَدَبِي فَهُو بِذَلِك يَقُوم بإبْدَاع نصّ جَدِيد انْطِلاقًا مِن النّص الأوّل بَعْد فَهْمه وتَفْسِيره بِفعل القِرَاءة الّذِي يكُون مُهمّ لعملية التّأْوِيل، لأجْل مُحَاولة الوعْي بلُعْبة اللّغة الّتِي يُجِيد مُنْتج النّص تَحْوِيرها بمَا يُنَاسب غَايَتَه ويَتَلَاعَب بِهَا باعْتِمَاد أَسَالِيب لُغوية مُتْقَنة.

فتَدفُّق المَعَانِي النّصية واسْتِمرارية انْتَاجِيتها، لَيْس ذَلِك كُلّه مِنْ عَمَل المُنتج فقط، بَلْ يحْصُل ذَلِك النِتَاج نَتِيجة لِمَا يَقُوم بِه القَارِئ؛ الّذِي يَسْعَى لإحْيَاء النّص وتَجدّده واسْتِمرَاريته مِنْ خِلال التّفاعل بَيْنهما، وتَفْسِيرا لِذَلك فإنّ« هذا القارئ الضمني يتحدّد عند "آيزر" من خلال حالة نصية واستمرارية لنتاج المعنى، على أساس أن النتاج من صنيع القارئ أيضا لا من صنيع الأديب وحده.» (عبد الواحد، 1996م، صفحة 36) فالقَارِئ مِثْله مِثل الكَاتب لَه النَّصِيب فِي إنْتَاج دَلَالات النّص ومَعَانيه، باسْتِخْدام فِعْل القِرَاءة وآلِيَات التّأْوِيل والقِرَاءة؛ مِنْ تَحْليل و دِرَاسة متقصّية وتَشْرِيح لجزيئات النّص للوُصُول إلَى البنيّة الكُليّة الشَّامِلة وتَفْكيكها والبَحْث عَن المَعْنَى الّذِي يَبْقى مُؤجّل ولَانِهَائِيا، كَمَا يَقُول "دريدا".

وبذلك فأيّ نصّ مِن النّصوص الأَدَبِية، لَا يَسْتطيع إثْبَات وُجوده بَيْن النّصوص الخَالِدة، والّتِي تَشْهد مقَرُوئية كَبِيرة إلاَّ بوُجود قُراء لَه، يُحَاولون تَحْيينه مِنْ خِلال البَحث فِي المَعَانِي المُتعدّدة لَه، بِفَهْمها وإدْرَاك البنيات العَمِيقة المُكوّنة له،« فالنّص أيا كان سيظل وجوده منقوصا حتى يتهيأ له القراء، يمدّونه بالطّاقة والوجود بما لهم من خبرات وتجارب وفهم.» (باعيسي، 2004م، صفحة 90،89) والقِرَاءة كَفِعْل

خَلاّق بِمَثَابة المَعْبَر إلَى لَحْظة الفَهْم، والّتي بدَوْرها تُؤدّي للوُصُول إلَى تَأْوِيل هَذا النّص، واسْتِشْفاف المَعَانِي المتضمّنة والخَفيّة، وهَذا إنْ دلّ على شيء، إنّمَا يدلّ علَى أنَّ القِرَاءة أداة غَايتها التّأْوِيل، وتَفْسِير النُّصوص ومَعْرفة بوَاطن بنياتها.

فالقِرَاءة عَملية يَقُوم بِهَا القُرّاء، الّذِين يَعْمَلون علَى فَك شَفَرات النُّصوص وتَفْسِيرها، والبَحْث عَن مَقَاصد المُؤَلّف بالفَهْم والتّعَمّق فِي البنية اللّغوية لَه، وكَمَا يَرَى "حميد لحمداني" أنّ للقُرّاء دَوْر مُهمّ يَتمثّل فِي وظِيفَتين أسَاسِيتَين، ويَظْهَر ذَلِك مِنْ قَوْله: « ودور القراء فيحصر في وظيفتين: الفهم، وهو إدراك المقاصد من خلال المنجز اللفظي للنّص، والتأويل الفاهم، أي بلوغ المقاصد" العميقة" بعد مجاوزة المعاني الظاهرة وخاصة إذا تعلق الأمر بنصوص أدبية تستخدم المجاز والاستعارات والكنايات. أما القراء الذين يمارسون التأويل من أجل أغراض خاصة، فهم يوجدون خارج دائرة الفهم والتأويل الفاهم معا.» (لحمداني، 2014م، صفحة 176) بِمَعْنى أنَّ الفَهْم يَكْمُن فِيمَا هُو مُتلفّظ فِي النّص، والتّأْوِيل الفَاهم مَا تَعَلّق بِالمَقَاصِد العَميقة مِنْ مَجَاز واسْتعارة... وغيرها.

وبِذلك فَإنَّ مَا يُنْتج المَعْنى والدّلالة، لَيْس النّص وَحْده، وإنَّمَا يتمّ إنْتَاجه بِتَظَافر الجُهود مَعَ القَارِئ، الّذِي يَقُوم بِفِعْل القِرَاءة لِهَذا النّص، والدّلالات الخَفيّة الّتِي أرَاد الكَاتب المُبْدع التّستر عَليْها، بِمُجرّد دُخولها نِطاق القِرَاءة ومُلَامَستها يد القَارِئ الواعِي والمُثقّف، فَهِي تنمّ عَن ذَلِك الفِعْل للقَارِئ، فَهَذِه المَعَانِي تتعدّد مِنْ قَارِئ لآخر، كَمَا يُمْكن أنْ تتعدّد وتَختلف عِنْد قَارِئ وَاحِد، عِنْد كلّ رُؤية وقِرَاءة مُتجدّدة، وهُنا يُمْكِننا الحَدِيث عَن المَعْنى؛ الّذِي يكون سَطْحي ويُعْرف مِن اللّفظ بِشَكْل ظَاهر ، ومَعْنى المَعْنى؛ الّذِي يَتمكّن القَارِئ مِن الوُصُول إليْه، انْطِلاقًا مِن المَعْنى الظّاهر مِن اللّفظ، ومِنْ هَذا المَعْنى نَصِل لِمَعْنى آخر أوْ عِدّة مَعَانِي، وذَلِك كلّه يَحْدث مِن خِلَال القِرَاءة المُتقصّية الدّقيقة وتَأْوِيل المَعَانِي المُسْتَبطنة.

خـــــاتمة:

حَظِي كلّ مِنْ مُصْطَلَحي القِرَاءة والتّأْوِيل فِي المَنَاهِج النَّقدِية الحَدِيثة بِاهْتِمَام كَبِير، ومَعَ بُرُوز المَنَاهِج مَا بَعْد البِنْيوية، بَدَأ التّرْكيز علَى المُتلقّي بِعدّه مُشَارِكا فِي إنْتَاج المَعْنى مَعَ المُبْدِع، نَظَرا لأنّه يَغُوص فِي النّص بِالبَحْث والتَّعمّق واسْتِشْفَاف المَعَانِي والدَّلاَلات اللّغَوِية الكَامِنَة ورَاء اللّغة، فَيُحَاوِل اسْتِنْطاق النَّص بالقِرَاءَة الفَاحِصَة النّقدِية العَمِيقَة.

ومِنْ أهَمّ النّتائِج الّتِي يُمْكن أنْ نَسْتَخْلِصَها مِنْ هَذِه الوَرَقة البَحْثِية والمُعَنْوَنَة بـــ: (القِرَاءة والتَّأْوِيل فِي المَنَاهِج النّقْدِية الحَدِيثة – المَفَاهِيم والآلِيَات –) عَلَى النّحْو الآتِي:

–الهِيرْمِينوطِيقَا كَمُصْطَلَح تَرْجع لأفكار "شليرماخر" و"ديلتاي" حَيْث عُنِيَت بِتَفْسِير وتَأْوِيل النّصُوص الدّينِية القَدِيمة كَالتَّوْرَاة والإنْجِيل، وتَعُود جُذُورها إلَى الكَلِمَة اليُونَانِية الكَلَاسِيكية Hermeneus (هُرْمُس)، وتَعْنِي المُفَسّر أوْ الشَّارِح، و"هُرْمُس" هُوَ إلَه يُونَانِي كَانَ يَنْقُل الرّسَائِل بَيْن الآلِهَة.

–أنَّ القِرَاءة والتّأْوِيل مِن المُصْطَلَحات الحَدَاثِية الّتِي جَاءَت بِهَا المَنَاهِج النقديّة الحَدِيثة ما بَعْد البِنْيويّة، لاَسِيما مَعَ بُرُوز نَظَرِيات القِرَاءة والتلقّي مَع "آيزر" و" ياوس"، حَيْث أعَادَت الاعْتِبار للقَارِئ، فبَعْدما كَان الاهْتِمَام مُنْصبّا حَوْل المُبْدع والنّص فقط، ليُصْبِح ثُلاَثيًا بِإضَافة المُتَلقّي/ القَارِئ، الّذي بَاتَ مُشَارِكا فَاعِلاً فِي إنْتَاج النّص.

–القِرَاءَة ذَلِك الفِعْل الصَّادِر عَن المُتَلقّي للنّص الإبْدَاعِي، الّذِي يَحْمِل فِي ثَنَايَاه مَعَانِي ودَلاَلَات خَفِيَّة الّتِي يُحَاوِل القَارِئ البَحْث عَنْها بَيْن سُطُورِه، ومَا وَرَاء النّص انْطِلاَقا مِنَ ثَقَافَتِه الوَاسِعة وَخَبَرَاتِه السَّابِقة عَن المَوْضُوع، فَيَسْعَى لِتَأْوِيله اعْتِمَادًا عَلَى مَرْجِعيَات مُعَيّنة ومِمَّا تُبْنَى عَلَيْه ذِهْنِيَته.

–التَّأْوِيل يَعْني تَحْدِيد المَعَانِي اللّغَوِية والدَّلاَلات الثَّاوِيَة فِي العَمَل الأدَبِي مِنْ خِلاَل التَّحْلِيل وإعَادَة

الصّيَاغة بِالتّعْلِيق والشّرْح والتّفْسِير، ومُحَاوَلة إزَالة الغُمُوض ومَا يَتَعَذّر فَهْمه، والعَمَل عَلى تَوْضِيح مَرَامِي العَمَل الفنّي ككُل، ومَقَاصِد المُؤَلّف والنّص بِاسْتِخْدَام وَسِيلة اللّغة.

-أنَّ عَمَلِية القِرَاءَة لَهَا عِدَّة آلِيات إجْرَائِية مِنْها: التَّحْليل، وتَشْرِيح النّص، السِيميَائِية، التَفْكِيك، وغيرها.

-مَجِيء جَمَالِية التّلقّي بِمَفْهُوم "أفُق التّوقع" فَجُمْهُور القُرّاء عِنْد قِرَاءته للعَمَل الأدَبِي، عَلَيْه أنْ يَكُون علَى دِرَاية بِالجِنْس الّذِي يَنْتَمِي لَه هَذا العَمَل بِوَاسطة خَبَرات سَابِقة، أوْ كَمَا يُسَمّيه "ياوس" أفُق الانْتِظار.

-هُنَاك عِدّة أنْوَاع للْقِرَاءة مِنْها مَا جَاءَ بِهَا تُودُوروف؛ كَالقِرَاءة الإسْقَاطِية، قِرَاءَة الشّرح، والقِرَاءة الشّاعِريّة، بِالإضَافة لِذَلك، هُنَاك أيْضًا أنْوَاع كَثِيرة للقُرّاء، كلّ حَسْب تَوجُّهَات وتَصْنِيفَات أصْحَابه، ونَذْكر علَى سَبِيل المِثَال لاَ الحَصْر، القَارِئ الحَقِيقِي، القَارِئ الفِعْلي، القَارِئ المِثَالِي...إلخ.

-أنَّ النَّص الأدَبِي عِنْد "آيزر" يَجْمَع بَيْن قُطْبَين: فني؛ النَّص الّذِي أبْدَعَه الكَاتِب، وجَمَالي؛ تَجْسِيد القَارِئ لَه، وعَلَيْه تُصْبِح عَلَاقَة القَارِئ بِالنَّص عَلَاقة إبْدَاع لاَ اتْبَاع، فَمُهِمَته فَهْم النَّص لاَ بِوَصْفه أثَرًا علَى القَارِئ، ومِنْه اقْتَرح "القارئ الضمني" الّذِي يَتَوجّه لَه النَّص بِخِطَابه، لِيَتَفاعَل مَعَه بِإنْتَاج المَعْنَى البَعِيد.

قائمة المصادر والمراجع:

1. البازعي سعد الرويلي ميجان. (2002م). دليل النّاقد الأدبي،إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا (المجلد 3). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
2. آن موريل. (2008م). النقد الأدبي المعاصر مناهج، اتجاهات، قضايا (المجلد 1). (أولحيان إبراهيم، المترجمون) القاهرة، مصر : المركز القومي للترجمة.
3. بشير القمري. (1991م). شعرية النص الروائيقراءة تناصية في كتاب التجليات (المجلد 1). الرباط، المغرب: شركة البيادر للنشر والتوزيع.
4. جميل صليبا . (1982م). المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية،ج1 (المجلد د.ط). بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
5. جون ب تومبكنر. (1999م). نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى مابعد البنيوية (المجلد (د.ط)). (ناظم حسن، حاكم علي، المترجمون) المركز الأعلى للثقافة.
6. جون سكوت. (2009م). علم الاجتماع المفاهيم الأساسية (المجلد 1). (عثمان محمد، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
7. حميد لحمداني. (2014م). الفكر النقدي الأدبي المعاصر مناهج ونظريات ومواقف (المجلد 1). فاس: مطبعة آنفو– برانت.
8. ديقيد جاسير. (2007م). مقدمة في الهيرمينوطيقا (المجلد 1). (وجيه قانصو، المترجمون) بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم– ناشرون.
9. سعيد بنكراد. (2012م). سيرورات التأويل من الهيرموسية إلى السيميائيات (المجلد 1). بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم –نلشرون.
10. سعيد علوش. (2019م). معجم مصطلحات النقد الأدبي فرنسي–عربي شرح واف لنحو 750مصطلحا (المجلد 1). بيروت: دار الكتاب الجديدة المتّحدة.
11. صلاح فضل . (1996م). مناهج النقد المعاصر (المجلد (د.ط)). القاهرة، مصر : دار الآفاق العربية.
12. عبد الغني بارة. (2005م). إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصرن مقاربة حوارية في الأصول المعرفية (المجلد (د.ط)). مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب.
13. عبد القادر علي باعيسي. (2004م). في مناهج القراءة النقدية الحديثة (المجلد 1). صنعاء، اليمن: مركز عبادي للدراسات والنشر.

14. عبد الله الغذامي. (1998م). الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر (المجلد 4). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

15. عبد الله وآخرون إبراهيم . (1996م). معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة (المجلد 1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

16. علي الحبيب الفريوي. (2008م). مارتن هايدغر"الفن والحقيقة"أو الانهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الفارابي.

17. فتحي بوخالفة. (2010م). شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة (المجلد 1). إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.

18. محمد عناني. (2003م). المصطلحات الأدبية الحديثة دراسة ومعجم إنجليزي-عربي (المجلد 3). مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان.

19. محمود عباس عبد الواحد. (1996م). قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة (المجلد 1). القاهرة ، مصر: دار الفكر العربي.

20. ناظم عودة خضر. (1997م). الأصول المعرفية لنظرية التلقي (المجلد 1). عمان، الأردن: دار الشروق.